الإشاريَّات الخطابيَّة و الإجتماعيَّة عند فخر المحقِّقين (ت ٧٧١هـ) في كتابه غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول (دراسة تداوليَّة)

أ.م.د. حامد بدر عبد الحسين الخيكانيّ
جامعة بابل/كليَّة العلوم الإسلاميَّة
الباحث أحمد عبد الجاسم نزَّال

Rhetorical and Social Signs of Fakher Al-Muhaqiqin (D. 771 A.H) in his book Ghayet Al-Ssauol fi Shareh Tahtheb Al-Wosoul (A Pragmatic Study)

Asst. Prof. Dr. Hamid Badr Abd Al-Hussein Al-khyqani
College of Islamic Sciences/University of Babylon
Researcher Ahmed Abd Al-jassim Nazzal

المُلخَّص

يمثِّـل هذا البحث قراءة معاصرة في أحد معالم المنظومة التواصليَّة المتمثِّلة بالدرس اللغويّ اللِّسـانيّ الحديث، إذ يُعنى بدراسـة بُعد تداوليّ من الأبعاد التداوليَّة في الخطاب الأصـوليّ في مدوَّنة أحد كبار علماء حـوزة الحِلَّة العلميَّة، وهو البعد الإشـاري، فينظر في كيفيَّة توظيف الخطاب الأصوليّ الأشـاريَّات؛ مـن أجل تحقيق الترابط التواصليّ بين طرَفَي الخطاب.

الكلمات المفتاحيَّة: التداوليَّة، الإشاريَّات، فخر المحقِّقين، الخطاب.

Abstract

This research represents contemporary reading in one of the features of the communicative system represented by the modern linguistic lesson. As it deals with studying the pragmatics in the fundamentalist discourse in the blog of one of the greatest scholars of the city of Hilla, the scientific and the indicative dimension. So, consider how to use the fundamentalist, discursive rhetoric in order to achieve a continuous communication between the two parties of the speech .

Keywords: Deliberative, Signs, Fakher Al-muhaqiqin, Speech.

المقدِّمة

الحمدُ لله على ما أنعم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمَّد وعلى آله وصحبه الأخيار المنتجَبين الأبرار، وعلى من اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ، فقد أورَثَنا القدماء من علمائنا العرب تراثًا لغويًّا ثرًّا في جميع مجالاته، فيه من الإشارات والتلميحات إلى مايمكن أن يُهيِّئ لإقامة نظريَّات في اللغة وغيرها، على نحو ما وجدناه عند فلاسفة اللغة المعاصرين، ولكنَّ الخوض في أعماق هذا التراث للكشف عن أسراره بحاجة إلى مجموعة من الإجراءات والأدوات التي لها القدرة على اكتشاف ما يكمن خلف تلك السطور، والولوج إلى أعماق النصوص، ومن خبايا إرث علمائنا كتاب (غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول) لمؤلِّفه فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن ابن المطهَّر الحِلِّيّ (ت ٧٧١هـ)، الذي لم يصل إلينا إلَّا في وقتٍ متأخِّر، لنكشف عمَّا فيه من أسرار وخبايا، لذلك عكف الباحث على أن يدرسه من وجهة نظرٍ لسانيةٍ، ألا وهي (الإشاريَّات)، مقتفيًا أثر أكثر الباحثين الذين اعتمدوا هذا النهج، مُقسِّمًا البحث على مبحثين، الأوَّل للحديث عن الإشاريَّات الخطابيَّة، والثاني عن الإشاريَّات الإجتماعيَّة، سُبِقا بمقدِّمة وتمهيد تحدث فيه عن نشأة الإشاريَّات وتعريفها.

التمهيد

تُعـدُّ الإشـاريَّات الدرجة الأولى من درجـات التحليل التداوليّ، بحسـب برنامج هانسـون (Hansson) لسـنة ١٩٧٤، الـذي يعـدُّ أوَّل مـن حاول التوحيد النسـقيّ، والربط بين مختلف أجزاء التداوليَّة بطريقة مسـتقلَّة[١]، بعد أنْ قام بالتوحيد بين مختلف أجـزاء التداوليَّة توحيدًا نسـقيًّا، واختار عبـارة (الدرجات) عوضًا عـن أجزاء؛ ليبيِّن المرور التدريجيّ من مسـتوى إلى آخر، فهو في الدرجة الأولى سياق وجوديّ إحاليّ، وفي الدرجة الثانية هو سياق الإخبار والمتقاسمات، أمَّا الدرجة الثالثة فقد احتوت على نظريَّة أفعال الكلام (الأفعال الكلاميَّة)[٢].

وقد اختلـف التداوليُّون في تعريف الإشـاريَّات، قد ذكرنـا في هذا البحث بعض منهـا، ونبـدأ بتعريف ديكـرو (Ducrot) الـذي قال فيهـا: هي «العبارة التي تسـمح للمتكلِّم بالإشارة إلى المخاطَب، أو إلى عدَّة أشياء خاصَّة في عالم الخطاب»[٣]، وتعريف جوليـان براون (Julian Braun) على أنَّها: «الأدوات التـي نعتمد في فهمنا لها لا على معناهـا الخاصّ، بل على إسـنادها إلى شيء آخر»[٤]، وتعريف الأزهـر الزناد على أنَّـها: «مفهوم لسانيّ، يجمع كلَّ العناصر اللغويَّة التي تحيل مباشرةً على المقام من حيث وجود

(١) ينظر: المقاربة التداوليَّة، فرانسواز ارمينكو: ٣٨.
(٢) ينظر: المقاربة التداوليَّة، فرانسواز ارمينكو: ٣٨، وينظر: حوار الأديان في القران الكريم دراسة في ضوء التداوليَّة، رغد عبد أبو جاسم الحميداوي: ٢٥.
(٣) لسانيَّات التلفُّظ وتداوليَّة الخطاب، ذهبية حمو الحاج: ١٠٢.
(٤) تحليل الخطاب، جوليان براون وجورج يول: ٣٣٠.

الـذات المتكلِّمة أو الزمن أو المـكان، حيث ينجز الملفوظ، والـذي يرتبط به معناه، من ذلـك: (لآن)، (هنـا)، (هناك)، (أنا)، (أنت)، (هذا)، (هـذه)... وهذه العناصر تلتقي في مفهـوم التعيين، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشـارة إليـه، وهي تنظِّم الفضاء مـن نقطة مركزيَّة، هي الذات المتكلِّمة أو (الأنا)»[1]، إلَّا أنَّه قام باختصار هذا التعريف بقوله: «قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلَّة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكـورة في أجزاء أخرى من الخطـاب، فشرط وجودها هو النَّـصُّ»[2]، وتعريف عبد الهادي بن ظافر الشـهريّ على أنَّها: « الأشـكال الإحاليَّة التي ترتبط بسياق المتكلِّم، مع التفريق الأسـاس بين التعبيرات الإشاريَّة القريبة من المتكلِّم مقابل التعبيرات الإشاريَّة البعيـدة عنـه»[3]، وقد عرَّفها أحـد الباحثين بأنَّهـا: « عبارة عن مفـردات لغويَّة تفتقر إلى السـياق لتحديـد معناها؛ لعدم اسـتقلاليَّتها في المعنى بذاتها، وليتبيَّن منه، السـياق، مرجعيَّاتهـا وما تُحيل إليه في الخطاب، كما أنَّها مـن العناصر المهمَّة في التَّداوليَّة؛ لما تُعطيه مـن خدمـة تواصليَّـة في بيان المقصـود»[4]، وعرَّفهـا الباحث علـيّ محمَّد نـور بأنَّها: «وحـدات لسـانيَّة يسـتلزم عملها الـدلاليّ المرجعيّ الأخذ بالحُسـبان عناصر السـياق الـواردة في النَّصِّ؛ لمعرفة الدَّور الذي يمنحه المشـاركون في الخطاب، والحالة الزمكانيَّة للمتكلِّـم والمخاطَـب»[5]، ويمكن تعريفها أيضًـا بأنَّـها: الصيغ اللغويَّة التي تُسـتعمل

(١) نسيج النصِّ، الأزهر الزناد: ١١٦.
(٢) نسـيج النصِّ، الأزهر الزناد: ١١٨، وينظر: الأشـاريَّات المكانيَّة في تفسـير (التَّحرير والتَّنوير) لابن عاشور، رجاء عجيل إبراهيم الحسناويّ، وستَّار هويدي عليّ: ٢٧٨.
(٣) اسـتراتيجيَّات الخطـاب مقاربة لغويَّـة تداوليَّة، عبد الهـادي بن ظافر الشـهريّ: ٨١، وينظر: الإشـاريَّات الشـخصيَّة في نهج البلاغة، الضمائر أنموذجًا: سـعد محمَّد عـليّ التميميّ، ويسرى خلف سمير: ٣١٨.
(٤) الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد: ٣٣.
(٥) مظاهر التداوليَّة في التبيان في تفسير القرآن، عليّ محمَّد نور: ١١.

للقيام بالإشارة بواسطة اللغة[١]؛ لأنهَّا ترتبط مباشرةً بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تُستخدَم فيه[٢]، وهي لا ترتبط بمدلول ثابت فيقتضي الإلمام بمعناها معرفة العناصر السياقيَّة المحيطة بها؛ لأنَّها خالية من أي معنى في نفسها[٣]، لهذا كان النحويُّون يُطلِقون عليها اسم المبهمات[٤]، ويجب علينا أنْ ننوِّه هنا أنَّ المقصود بالإبهام هو عدم التعيُّن، وليس المقصود منه الغموض[٥].

ولأهميَّة الإشاريات جعلها الفيلسوف الأمريكي تشتارل موريس (Charles Morris)، اللبنة الأساس في دراسة التداوليَّة، حين كانت فرعًا من علم السيمياء[٦]؛ «لأنهَّا تهتمُّ مباشرةً بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تُستخدَم فيه»[٧].

وقد اعتنى بيرس بالإشاريَّات اعتناءً كبيرًا، ممَّا دفعه إلى البحث عن الطرق التي تؤدِّي إلى معرفة الاتِّصال بين الأفراد؛ إذ يرى أنَّ العلامات اللسانيَّة تتَّحد تداوليًّا عن طريق استعمالها في التنسيق مع علامات أُخرى من طرف أفراد جماعة معيَّنة؛ لأنَّ للعلامة اللسانيَّة علاقة بظروف استعمالها، وعن طريقهما تحمل معناها[٨].

(١) ينظر: التداوليَّة، جورج يول: ٢٧.
(٢) ينظر: استراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي ظافر الشهريّ: ٨٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠.
(٤) ينظر: الإبهام والمبهمات في النحو العربّي، إبراهيم بركات: ٣٣.
(٥) ينظر: الخطاب والتخاطب في نظريَّة الوضع والاستعمال العربيَّة، صالح عبد الرحمن الحاج: ٧٧.
(٦) ينظر: الأبعاد التداوليَّة في كتب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد: ٣٣.
(٧) ينظر: إستراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ: ٨٢.
(٨) ينظر: التداوليَّة امتداد شرعيّ للسيميائيَّة، سحاليه عبد الحكيم: ٤٢٢-٤٢٣.

وذهب بعض علماء التداوليَّة إلى أنَّ عناصر إنتاج الخطاب اللغويّ في الإشاريَّات منحصر في الإشاريَّات الثلاثة (الأنا، والهنا، والآن)[1]، والمقصود من الأوَّل كلُّ ضمائر الحضور سواء كان متكلِّمًا أم مخاطَبًا، والمراد من الثاني أسماء الأشارة وظروف المكان، وأمَّا الثالث، فظروف الزمان سواء كانت بارزه أو مُضمرة، والمراد من المضمرة كما في قولنا (العب الكرة) التي تعدُّ بنية سطحيَّة تتضمَّن الضمائر الموجودة فيما يُسمَّى بالبنية الضمنيَّة العميقة: (أن أقول: العب أنت الكرة الآن هنا)، ولكن كفاية المتكلِّم تحتفظ بها؛ لأنَّها لا تسمح بالتكرار، كما لا تسمح إلَّا بإيجاز ما هو ضروريّ لإنجاز عمليَّة التواصل[2].

(١) ينظر: القاموس الموسوعيّ للتداوليذَة، جاك موشلر وآن ريبول: ١١٠، والمقاربة التداوليَّة، فرانسواز أرمينكو: ٤١، وإستراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة: عبد الهادي بن ظافر الشهريّ: ٨١-٨٢.

(٢) ينظر: الاتِّجاه التداوليّ والوظيفيّ في الدرس اللغويّ: نادية رمضان النجَّار: ٨٨.

المبحث الأوَّل

الإشاريَّات الخطابيَّة Discourse Deictics

مفهوم الخطاب

وردَ لفظ (خطب) في معاجم اللغة العربية، فالْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ[١] بمعنى الشأن والأمر[٢]، قال اللَّيث: «الخَطْبُ سببُ الأمْرِ، تقولُ: مَا خَطْبُكَ؟ أَي: مَا أَمْرُكَ؟، وتقولُ: هَذَا خَطْبٌ جَلِيلٌ وخَطْبٌ يسيرٌ، وَجمعه خُطُوب»[٣]، «وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضمِّ. وخاطبه بالكلام مُخاطَبَةً وخِطابًا»[٤]، وقال ابن فارس: «الخطابُ كلُّ كلامٍ بينك وبين آخر»[٥]، والخطابُ بمعنى الإلقاء، يقال: ألقى خطابًا[٦].

وفي القرآن الكريم ورد لفظ الخطاب بصيغ مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ

(١) ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّاء الرازي: ٢/ ١٩٨.
(٢) ينظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ، مادة (خَطَبَ): ٤/ ٢٢٢، وينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميريّ اليمنيّ: ٣/ ١٨٣٧، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ: ٣/ ٣٧٠.
(٣) تهذيب اللغة، محمَّد بن أحمد الأزهريّ الهرويّ: ٧/ ١١١، وينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، مادَّة (خَطَبَ): ١/ ٣٦٠.
(٤) الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الفارابيّ: ١/ ١٢١.
(٥) مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء الرازي: ٢٩٥.
(٦) ينظر: معجم الصواب اللغويّ، أحمد مختار عمر: ١/ ٣٥٤.

وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (ص: ٢٣).

أمَّا في كتب علماء الإصول، فقد حظي الخطاب باهتمامٍ كبيرٍ؛ لأنَّهم يؤسِّسون لقواعد تحليل الخطاب الدينيّ الشرعيّ[١]، فقد عرَّفه الآمديّ (ت ٦٣١هـ) بأنَّه «اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ»[٢]، وعرفه العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ) على أنَّه «الكلام المقصود به الإفهام، فلا يقع من الحكيم المخاطبة بالمهمل؛ لاشتماله على النقص»[٣]، وفسَّر فخر المحقِّقين قوله هذا على أنَّ الكلام عنده جنس، ويخرج به الفعل، وقوله: (المقصود به الإفهام) أي: إحتراز عن كلام الغافل، فلا يجوز من الحكيم المخاطبة بالمهبل؛ لاشتماله على النقص، أي: نقص الغرض، وهو الإفهام، وعدَّ التكلُّم بما لا يفيد هذيان[٤].

أمَّا في الكتب اللِّسانيَّة الحديثة، فقد برزت مصطلحات حديثة في الألسنيَّة، وكان منها مصطلح الخطاب[٥]، وأوَّل من عرَّفه هاريس (Harris) بقوله بأنَّه: «ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل، تكوِّن مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيَّة التوزيعيَّة، وبشكلٍ يجعلنا نظلُّ في مجالٍ لسانيٍّ محض»[٦]، وعرَّفه بنيفست (Benveniste) بأنَّه «الملفوظ منظورًا إليه من وجهة آليَّات وعمليَّات اشتغاله في التواصل»[٧]، في حين قام ميشال فوك

(١) ينظر: تداوليَّة الخطاب الدينيّ في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، محمَّد صادق الأسدي: ١٧.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن عليّ بن أبي عليّ بن محمَّد بن سالم الآمديّ: ١/ ٩٥.
(٣) تهذيب الوصول إلى علم الأصول، العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهَّر: ٨٧.
(٤) ينظر: غاية السؤل في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ٢١٤.
(٥) ينظر: تداولية الخطاب الدينيّ في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، محمَّد صادق الأسديّ: ١٨.
(٦) تحليل الخطاب الروائيّ (الزمن- السَّرد- التبئير)، سعيد يقطين: ١٧.
(٧) المصدر نفسه: ١٩.

(Michel Foucault) بتقديم تعريف موجز لمفهوم الخطاب بقوله فيه «نظام تعبير متقن ومضبوط»[١]، وذهب الدكتور طه عبد الرحمن إلى القول بأنَّه «كلُّ منطوقٍ متوجَّه به إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا»[٢]، فيما ذهب الدكتور عبد الواسع الحميريّ إلى القول بأنَّه «عبارة عن إستراتيجيَّة التلفُّظ أو نظامه»[٣]، أمَّا الدكتور محمود عكاشة فقد قام بتقديم تعريفٍ شاملٍ لكلِّ ما سبق بقوله «الخطاب: القول الموجَّه المقصود من المتكلِّم (أنا، نحن) إلى المتلقِّي المخاطَب (أنت، أنتما، أنتم، أنتنَّ)؛ لإفهامه قصده من الخطاب صريحًا مباشرًا، أو كنايةً، أو تعريضًا في سياق التخطاب التواصليّ»[٤]. ممَّا سبق ذِكره يتَّضح أنَّ هناك آراءً متعدِّدةً في تعريف مفهوم الخطاب، فكلُّ واحدٍ منهم ينظر إليه من جهة اختصاصه، وبمنهجٍ مغايرٍ عن الآخر.

الإشاريَّات الخطابيَّة

هي الإشاريَّات التي تُعدُّ من خواصِّ الخطاب، فهي لا تعود إلى المرجع السابق نفسه، بل هي إشارات تخلق مراجع تتصوَّرها من الكلام وفي أثناء الحديث، كارتباط قصَّة، أو ترجيح رأي على آخر، أو أن يستدرك الباث على كلام سابق، أو يلغي أمرًا، أو يضيف أمرًا، أو يضعِّف رأيًا، فيذكره بصيغة التعريض، وتتمثَّل في العبارات، مثل: (لكن، بل، مهما يكن من أمر، من ثمَّ، فضلًا عن ذلك، قيل...)[٥].

(١) حفريَّات المعرفة، ميشال فوكو: ٣٤
(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن: ٢١٥.
(٣) نظريَّة الخطاب مقاربة تأسيسيَّة، عبد الواسع الحميريّ: ١١٩.
(٤) تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللغة دراسة تطبيقيَّة لأساليب التأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم، محمود عكاشة: ١٧.
(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٢٤-٢٥، وينظر: الوظائف التداوليَّة في مسرحيات أحمد رضا حوحو، راوية حباري: ٤٨-٤٩، وينظر: الإشاريَّات الخطابيَّة=

وذهب الدكتور محمود أحمد نحلة إلى القول بأنَّ إشاريَّات الخطاب قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق؛ لكونها يتداخلان في العناصر المكوِّنة لهما، ومتَّفقان في المرجع، ولذلك قام بعض الباحثين بإسقاط إشاريَّات الخطاب من أنواع الإشاريَّات؛ لأنَّها تُحيل إلى واقعٍ لغويٍّ في النصِّ، وليس في الخطاب[1].

والفرق بين الإحالة والإشاريَّات النصيَّة أنَّ «الإحالة يتَّحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يُحيل إليه، مثل زيد كريم، وهو ابن كرامٍ أيضًا، فالمرجع الذي يعود إليه زيد هو واحد، أمَّا إشاريَّات الخطاب فهي لا تُحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع، فإذا كنت تروي قصَّة، ثمَّ ذكَّرتكَ بقصَّة أخرى، فقد تُشير إليها، ثمَّ تتوقَّف قائلًا: لكن تلك قصة أخرى، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد»[2].

ويتَّفق البحث مع قول الدكتور عامر هاشم محمَّد في وصف خلق الإشارة إلى مرجع جديد، بقوله: «كأنَّها تنفتح على أشكال التأويل، وتخلق مرجعًا متصوَّرًا، فهي تتَّخذ من الإشارة سمة عليا لتحليل ما يتضَّمنه الخطاب من إشارات تنفتح أبواب التأويل فيها»[3].

وبما أنَّ كتاب دراستنا أُصوليّ، تضمَّن في طيَّاته عناصر إشاريَّة خطابيَّة عديدة، تشير إلى سابق، أو لاحق، ولكنَّها لا تُحيل إلى المرجع نفسه، بل هي عناصر إشاريَّة تخلق

=وأبعادها التداوليَّة قراءة في خطاب الإمام الحسين عليه السلام: حازم مطشَّر حاتم: ٧٣٤.

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٢٤-٢٥، وينظر: الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد: ٦٢.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: محمود أحمد نحلة: ٢٤، وينظر: الإشهار القرآنّي والمعنى العرفانيّ في ضوء النظريَّة العرفانيَّة والمزج المفهوميّ والتداوليَّة [سورة يوسف نموذجًا]، عطيَّة سليمان أحمد: ١٦٤-١٦٥، وينظر: الأبعاد التداوليَّة للإشاريَّات في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد، إيثار شوقي سعدون: ٣٦١.

(٣) الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد: ٦٣.

مرجعًا جديدًا، وسنذكرها على النحو الآتي:

لكنَّ:

حرف مشبَّه بالفعل، من أخوات إنَّ، ينصب الأوَّل اسمًا له، ويرفع الثاني خبرًا له، إذا جاء مشدَّدًا، أمَّا إذا ورد مخفَّفًا، فيكون مهملًا لا عمل له، ويفيد معنى الإستدراك إذا كان خفيفًا أو ثقيلا[١]، يقول العكبريّ: «وأمَّا (لكن) فللاستدراك مشدَّدة كَانَت أَو مُخَفَّفَة، وَلَيْسَت للغلط، إلاَّ أنَّها فِي الْعَطف مخفَّفة البتَّة، وَمَا بعْدهَا مُخَالف لما قبلهَا؛ لأنَّ ذَلِك هُوَ معنى الاسْتِدْرَاك، وَلِهَذَا كَانَ الاسْتِثْنَاء الْمُنْقَطع مُقَدَّرًا بـ(لكن)، وَإِذا كَانَت مَعهَا (الْوَاو)؛ فالعطف بهَا لَا (بلكن)، فالاستدراك لَازم والعطف عارضٌ فِيهَا»[٢]، هذا يوضِّح أنَّ لكن مختصَّة بالاستدراك في الأغلب، فهي لا تكون للعطف إلَّا بشرط أن يكون المعطوف بها مفردًا، وألَّا تسبق بالواو، وأن تكون مسبوقة بنفي أو نهي، مثل: لم أرَ الحادثة، لكن سمعت بها[٣].

وذهب المراديّ إلى القول فيه «لكن حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكمًا لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنَّك لما أخبرت عن الأول، بخير، خفت أن يتوهَّم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبًا، وإن إيجابًا، ولذلك لا يكون إلَّا بعد كلام ملفوظ به، أو مقدَّر»[٤]، وهذا يتطابق تمامًا مع ذكرناه في إنَّ إشاريَّات الخطاب

(١) ينظر: علل النحو، ابن الورَّاق محمَّد بن عبد الله بن العبَّاس: ٢٤١-٢٤٢، وينظر: اللمع في العربيَّة، أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ: ٤١، وينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ: ٣/ ٢١٦، وينظر: أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتيّ: ٢٠٦.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ: ١/ ٤٢٧.

(٣) ينظر: التطبيق النحويّ، عبده الراجحيّ: ٣٨٨.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمَّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ=

تخلق مرجع جديد، فالمراديّ في هذا القول يبيِّن ذلك.

وممَّا ورد من إشاريَّات خطابيَّة بحرف الاستدراك، لكن في كلام فخر المحقِّقين قوله: «إذا تعارض النقل والتخصيص، كالأسماء الشرعيَّة عند المعتزلة، فإنَّها منقولة من المعنى اللُّغويّ إلى الشرعيّ، وعند آخرين إنَّها باقية على الوضع اللُّغوي، لكنَّ الشارع خصَّصها بقيودٍ زائدة على المعنى اللُّغويّ»[1].

نلحظ التحويل الخطابيّ الذي ورد في النصِّ باستعمال (لكنَّ) بعد حديثه عن تعارض النقل والتخصيص عند البعض، ونقلها من معنى إلى آخر، وكأنَّ المصنِّف قد نسي شيء فاستدركه بقوله: (لكنَّ الشارع)، فخلق ذلك إشارة مرجعيَّة جديدة تتمثَّل في الإحالة إلى الشارع، فجاءت لكنَّ للاستدراك والتوكيد، فرفعت الأوَّل إسمًا لها، ونصبت الثاني خبرًا لها[2].

بل:

حرفُ عطفٍ له معنى الإضراب عن الأوَّل، وإثبات حكم للثاني الذي يليها، مثل: جاءني زيد بل عمرو، وَمَا جاءَني رجل بل امرأَة[3]، ومن الإشاريَّات الخطابيَّة التي وردت باستخدام (بل) في كتاب فخر المحقِّقين، قوله: «ليس القصد بوضْع المفرد لُمَسَّماهُ استفادتَهُ منه، وإلَّا لَزِمَ الدَوْر؛ لأنَّ إفادة الألفاظ المفردة لمعانيها موقوفة على العلم بكوْنها موضوعةً لتلك المُسَمَيَّات، فالعلم بالمُسَميَّات سابقٌ على الوضع،

=المراديّ: ٦١٥.

(١) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ١٩٨.

(٢) ينظر: أساليب الإضراب والاستدراك في القران الكريم، إنجا إبراهيم يحيى اليمانيّ: ٢٩٨.

(٣) ينظر: المقتضب، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد: ١/ ١٢، وينظر: علل النحو، ابن الورَّاق محمَّد ابن عبد الله بن العبَّاس: ٢٦١، وينظر: اللمع في العربيَّة، أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ: ٩٣، وينظر: شرح المقدِّمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ: ١/ ٢٦٢.

فإنْ استُفيد منه لزم الدور، بل الغرض هو التمَكُّن من تركيب المعاني بواسطة تركيب الألفاظ، ولا يرِدُ مثلهُ في المركَّبات؛ لأنَّا متى علِمْنا وضْع كلِّ واحدٍ من المفردات لمعناهُ، وعَلِمْنا دلالة الحركات المخصوصة على النِّسَب المخصوصة لتلك المعاني، فإذا توالت الألفاظ المفردة بحركاتهِ المخصوصة على السَّمْع، ارتسمتْ تلك المعاني المفردة مع نسبة بعضها إلى بعضٍ، وإذا حصلت المفردات إلى النِّسب ذهنًا، حصلَ العلم بالمعاني المركَّبة»[١].

نلحظ في النصِّ كيفيَّة التحوُّل الخطابي عند فخر المحقِّقين عن طريق الانتقال من الخبر الأوَّل بالإضراب عنه إلى إثبات الخبر الثاني بإستخدام حرف العطف (بَل).

ومن استخدامه لحرف العطف (بل) أيضًا، قوله: «لا طريق إلى معرفة الوضع بالعقل، (بل) بالنقل»[٢]، فلفظة (بل) هنا في هذا النصِّ إبطاليَّة، إذ نفت أن تكون معرفة الوضع بالعقل، وأثبتت أنَّها بالنقل، كما جاءت عاطفة[٣]، فـ(بل) هنا ليست انتقاليَّة تنتقل من خبر إلى آخر، بل هي لنفي شيء، وإثبات شيء آخر.

قيل:

صيغة من صيغ التعريض، تُستخدَم لتضعيف رأي على آخر[٤]، وقد استخدمها فخر المحقِّقين كإشاريَّات خطابيَّة في مدوَّنته، ومنه ما ورد في تعريفه للفقه، قوله: «الفقه في اللُّغة: الفهْم، أي: جودة الذهن من حيث استعدادهِ لاكتساب المطالب، وإنْ كان

(١) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمن بن الحسن بن يوسف: ١٣١.
(٢) المصدر نفسه: ١٣٢.
(٣) ينظر: أساليب الإضراب والاستدراك في القران الكريم، إنجا إبراهيم يحيى اليماني: ٤٤.
(٤) ينظر: العقيدة عند الأمام مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، جاسم داوود سلمان السامرَّائيّ: ٤٣٣.

المُتَّصف به جاه كالعامِّيّ الفطِن. وقيل: الفقه: العلمُ[1]»[2].

يتَّضح من كلام فخر المحقِّقين الإشارة الخطابيَّة الواضحة إلى الرأي الذي ذهب إليه الخليل، وقد عدَّه ضعيفًا بذكره بصيغة التعريض قيل؛ لأنَّ الفقه عنده هو «العلم بالأحكام الشرعيَّة الفرعيَّة المُستَدَلُّ على أعيانها، بحيث لا يُعلم كونها من الدين ضرورةً»[3]. ومن استخدامه لصيغة التعريض (قيل) أيضًا ما ورد في تعريفه للُّغة قوله: «وهي مأخوذة من لغا يلغو إذا لجَّ بالكلام. وقيل: مِن لغا يلغي[4]. وهي: كلُّ لفظٍ وُضعَ لمعنًى، فخرجتْ الإشارات والرقوم وباقي الأصوات والمُهمَل، وهو مرادٌ من الكلام عند أصوليِّين[5]»[6].

نلحظ الانتقال الخطابيّ في النصِّ الذي قام به فخر المحقِّقين بالإشارة إلى القول الذي ذهب إليه ابن منظور، من ثمَّ، تضعيفه بصيغة التعريض؛ لأنَّ هذا الرأي يُخالف عنده ما ذهب إليه الإصوليِّين[7].

(١) قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ: «الفِقْهُ: العِلْم في الدِّين. يقالُ: فَقُهَ الرَّجل يَفْقُهُ فِقْهًا فهو فَقيهٌ. وفَقِهَ يَفْقَهُ فِقْهًا إذا فَهِمَ. وأفقهتُه: بَيَّنْتُ لهُ. والتَّفَقُّهُ: تَعَلُّمُ الفِقْهِ». العين: ٣/ ٣٧٠.

(٢) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ٧٦-٧٧.

(٤) ينظر: لسان العرب: جمال الدين ابن منظور: مادة (لَغَا): ١٥/ ٢٥٠-٢٥١.

(٥) ينظر: العدَّة في أصول الفقه، ابن الفرَّاء محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف: ١/ ١٨٥، وينظر: المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزاليّ: ١٦٦، وينظر: المحصول في أصول الفقه، ابن العربيّ محمَّد بن عبد الله أبو بكر الإشبيليّ: ٣٨، وينظر: المحصول، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن: ١/ ١٧٧.

(٦) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ١٢٤.

(٧) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ: ٥٣١، وينظر: الفائق في أصول الفقه، صفيُّ الدين محمَّد بن عبد الرحيم ابن محمَّد الأرمويّ: ١/ ٣١٩.

المبحث الثاني

الإشاريَّات الاجتماعيَّة Social Deictics

مفهوم الاجتماع

عُـرِّف الاجتـماع بتعريفـات عديـدة، فكلٌّ قـد عرَّفه مـن جانب تخصُّصـه، فقال فيـه الحميـريّ: «الاجتـماع ضـد الافـتراق»(١)، يقال: رجـلٌ مجتمـعٌ إذا بلغ أشُـدَّه(٢)، ثـمَّ قـام الجرجـانيّ بتخصيصـه في التعريفـات، فقـال: «الاجتـماع: تقـارب أجسـامٍ بعضهـا مـن بعـض»(٣)، وذهـب السـيوطيّ إلى تعريفـه مـن بـاب تقـارب اللفظ من المعـاني، فقـال: «الاجْتِـماعُ: هو وجود أَشْـيَاء كَثِـيرَة يعمُّها معنًـى وَاحِـد»(٤)، فيما قال عبـد الـرؤوف بن تـاج العارفـين، الاجتـماع هـو «مجـاورة جوهرَيـن في حيِّزين ليس بينهـما ثالـث، وضـدُّه الافـتراق، وهو وقـوع جوهَرَيـن بينهما حيِّـز»(٥)، أمَّـا من باب العلـوم فالاجتـماع «علـمٌ يبحـث في نشـوء الجماعـات الإنسـانيَّة ونُمُوِّهـا وطبيعتِها وقوانينِهـا ونُظُمِهـا»(٦)، ويدخـل علم الاجتماع في اللسـانيَّات، وقـد عرَّفه ماكس فيبر

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرىّ اليمنيّ: ٢/ ١١٧٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) التعريفات، علّي بن محمَّد الجرجانّي: ١٠.
(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ: ١٣٧.
(٥) التوقيـف على مهمَّـات التعاريف، عبد الـرؤوف زين الدين محمَّد بن تـاج العارفين بن عليّ الحدَّاديّ: ٣٩.
(٦) معجـم اللغة العربيَّة المعـاصرة، أحمد مختار عبد الحميد: ١/ ٣٩٣، وينظر: المعجم الوسـيط،=

(Moxa Weber) بقولـه: «علـم يهدف إلى فهـم الفعل الاجتماعي بطريقة شـارحة، ويقـسر بذلك أسـبابه في تتابعـه وتأثيراتـه»[1]، أي: يُعنى بدراسـة الوقائع والأحداث الاجتماعيَّة وتفسيرها ضمن سياق تفاعليّ اجتماعيّ[2].

الإشاريَّات الاجتماعيَّة

هـي ألفاظ وتراكيب تُشـير إلى العلاقـات الاجتماعيَّة الرابطة بـين عناصر الحدث اللغـويّ المتكلِّم والمُخاطَـب أو المتلقِّي[3]، والعلاقة الاجتماعية هـي «تصـرُّف مجموعة مـن الأشـخاص في تتابع متوافق بصورة تبادليَّـة تبعًا لمعناه، ومتوجِّـه وفقًا لهذا المعنى، وتتكوَّن العلاقة الاجتماعيَّة تمامًا وحصريًّا من فرصة أن يتمَّ فعل اجتماعي بصورة يمكن وضعها تبعًا للمعنى، بغضِّ النظر تمامًا عن الأسـاس الذي تقوم عليه هذه الفرصة»[4]، فيستطيع المرسل أن ينتج خطابه بحسب إستراتيجيَّات متفاوتة وكثيرة، ولكنَّه يعمد إلى اختيار إستراتيجيَّة معيَّنة؛ مراعاةً لمعايير يأخذها بالحُسبان، ومن تلك المعايير هي المعايير الاجتماعيَّة[5].

=مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة: ١/ ١٣٥.

(١) مفاهيم أساسية في علم الإجتماع، ماكس فيبر: ٢٨.

(٢) ينظـر: دور الترجمـة في ترقيـة البحث اللسـانيّ الاجتماعيّ، ترجمة كتاب لويـس جون كالفي، ترجمة: محمَّد يحياتن، دراسة لسانيَّة اجتماعيَّة، خوخة تواتي وسهيلة يوسفي: ٤٢.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: محمود أحمد نحلة: ٢٥، وينظر: الإشهار القرآنّي والمعنى العرفانيّ في ضوء النظريَّة العرفانيَّة والمزج المفهوميّ والتداوليَّة [سورة يوسف نموذجًا]: عطيَّة سـليمان أحمد: ١٦٥، وينظـر: الأبعاد التداوليَّة للإشـاريَّات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد: إيثار شوقي سعدون: ٣٦٠.

(٤) مفاهيم أساسيَّة في علم الاجتماع: ماكس فيبر: ٥٦.

(٥) ينظر: إستراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة: عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٨٧، وينظر: مظاهر التداوليَّة في التبيان في تفسير القرآن للطوسيّ: عليّ محمَّد نور مجيد عباس: ٦٧.

وعـدَّ التداوليُّـون الإشـاريَّات الاجتماعيَّـة مـن الأمـور المشـتركة بـين علـم اللغـة الاجتماعـيّ والتداوليَّـة[١]. وذهبـوا إلى القـول بـأنَّ الإشـاريَّات الاجتماعيَّـة تتحكَّـم بهـا مقوِّمـات ذاتيَّـة وموضوعيَّـة، والمسـافة المكانيَّـة والنفسـيَّة بـين عناصر الخطاب[٢].

ويسير البحث في تقسيم الإشاريَّات الاجتماعيَّة على خطى الباحثين في التداوليَّة إلى قسمَين رئيسَين[٣]:

الأوَّل. إشـاريَّات رسميَّة: ويندرج تحت هذا القسـم ذِكر الألقاب والتعظيم، كأن يقـول المتكلِّم أنتم للمفرد والمخاطب، ونحن للمفرد، أو لمراعاة المسـافات الاجتماعيَّة، كذكر لفظة الأمير، الخليفة، أمير المؤمنين.

الثاني. إشـاريَّات غير رسـميَّة: وتتمثَّل في ألفاظ التدليل وما يشـابهه من الكلمات المُشـعرة بالمودَّة، والتحيَّات مثـل: أنعِم صباحًا، وحيَّاك، وبيَّـاك، والكلمات الدالَّة على طبقة اجتماعيَّة بعينها، مثل: عقيلته، زوجته، امرأته.

ويتَّفـق الباحث مع القول الذي سـاقه أحـد الباحثين بأنَّ « هذه الإشـاريَّات تدلُّ في سـياقها الاسـتعماليّ على مقصد خاص يسـتفيد منه السـامع أو المخاطب؛ ليصل إلى

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٢٦، وينظر: الأبعاد التداوليَّة للإشاريَّات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد، إيثار شوقي سعدون: ٣٦٠.

(٢) ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداوليَّة: دلخوش جار الله حسين: ٥٩٤-٥٩٦، وينظر: الأبعاد التداوليَّة للإشاريَّات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد، إيثار شوقي سعدون: ٣٦٠.

(٣) ينظـر: الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات: عامر هاشـم محمَّـد: ٥٦، وينظر: الأبعاد التداولية للإشـاريَّات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد، إيثار شوقي سعدون: ٣٦٠.

مراد المتكلِّم»[1]، مستدلًّا على ذلك بما ذهب إليه مرتاض عبد الجليل بأنَّ «كلَّ عمل من التواصل الكلاميّ يُراعي متكلِّمًا يُرسل خطابًا أو مُرسلة في اتِّجاه مخاطَبٍ أو متلقٍّ، قد يكون حاضرًا، وقد يكون غائبًا»[2]، إذن ممَّا سبق ذِكره نفهم أنَّ هذه الإشارات تقود إلى حالة تواصليَّة في الخطاب لا ينبغي تجاهلها أو إغفالها حين الخطاب[3].

وإذا ما نظرنا إلى ما جاء في كتاب دراستنا، نجد أنَّه لم يخلُ من إشاريَّات اجتماعيَّة عديدة[4]، فكانت تلك الإشاريَّات، بصورة رسميَّة، يحكمها المقام والظروف الخاصَّة بكتابته هذا الكتاب.

من الإشاريَّات الاجتماعيَّة الرسميَّة ما نجده مثلًا عند فخر المحقِّقين في خطبة كتابه قوله: «ولـمَّا كان كتاب شيخنا الإمام الأعظم العلَّامة المُعظَّم، أفضل العلماء، وأعلم الفضلاء، ملك المناظرين والحكماء والمتكلِّمين، روح القدِّيسين وبرهان العُلوِيِّين، خليفة الوجود الروحانيّ، وقطب العالم الإنسانيّ، والدي جمال المِلَّة والحقِّ والدين الحسن بن المُطهَّر أدام الله إفاضتَهُ على كافَّة العالمين»[5].

نجد في قول فخر المحقِّقين هذا مراعاة للإشارة الاجتماعيَّة، وبما يكنُّ في نفسه تجاه أبيه العلَّامة، فقام بإعطاها نوعًا من التميُّز الطبقيّ، فوصفه بـ(شيخنا)، و(الأمام الأعظم)، و(العلَّامة المعظَّم)، و(أعلم الفضلاء)، و(ملك المناظرين والحكماء والمتكلِّمين)، و(روح القدِّيسين)، و(برهان العلويِّين)، و(خليفة الوجود الروحانيّ)،

(١) الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد: ٥٧.
(٢) اللغة والتواصل اقترابات لسانيَّة للتواصلَين الشفهيّ والكتابيّ، مرتاض عبد الجليل: ٤١.
(٣) ينظر: الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات: عامر هاشم محمَّد: ٥٧.
(٤) ينظر: غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ٧٠، ٩٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٩، ١٣٠، ١٢٧، ٢٤٤، ٢٨٨، ٧٢٤، ٧٣٨.
(٥) المصدر نفسه: ٧٠.

و(قطب العالم الإنسانيّ)، كلُّ هذه الأوصاف الإشاريَّة أظهر فيها فخر المحقِّقين المسافة الاجتماعيَّة بينه وبين أبيه العلَّامة الحسن بن يوسف بن المطهَّر، ومدى حبِّه واحترامه وتقديره له، ليُدرِك القارئ لكتابه هذا، مكانته التي كانت في نفسه عند قيامه بتحقيق هذا الكتاب.

ومن الإشاريَّات الاجتماعيَّة التي ترتَّبت في كتاب فخر المحقِّقين للتبجيل، ذلك ما نجده عند ذِكره قول من أقوال الإمام عليّ عليه السلام، فهو يقول: «قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام): «**مَنْ أراد أنْ يتقحَّم جراثيم جهنَّم فليقلْ في الحدِّ برأيه**»، وقال أبو بكر: «أيُّ سماءٍ تُظلني وأيُّ أرضٍ تُقلُّني إذا قلتُ في كتاب الله برأيي»، وقال عمر: «إيَّاكم وأصحاب الرأي، فإنَّهم أعداء السُّنَن أعيَتهم الأحاديث أنْ يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلُّوا وأضلُّوا»»[1].

نلحظ في النصِّ قوله (أمير المؤمنين) تبجيلًا للإمام عليّ عليه السلام، وتبيناً لمكانته في نفوس المسلمين، فهو أميرٌ عندهم في الدنيا والآخرة، وأنَّ هذه إشارة إلى المسافة الاجتماعيَّة عنده بين قول الإمام والأقوال الإخرى التي ذكرها بأسمائها مباشرةً.

ومن الإشاريَّات الاجتماعيَّة التي وردت في مدوَّنة فخر المحقِّقن، وراعى فيها المسافات الاجتماعيَّة والتبجيل، قوله: «اختلف الناس في إفادة الأمر المجرَّد عن القرائن للوحدة أو للتكرار، فعند جماعة من الفقهاء والمتكلِّمين أنَّه يقتضي التَّكرار المستوعِب لمدَّة العمر مع الإمكان، وعند آخرين يقتضي الوحدة لفظًا، وقال قومٌ بالاشتراك. وعند السيّد المرتضى، وأبي الحسين البصريّ، وفخر الدين الرازي أنَّه غير مفيدٍ لأحدهما»[2].

(١) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ٦٣٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤٤.

فقولـه: (السـيِّد المرتـضى)، يراعـي فيـه المسـافة الاجتماعيَّـة بينه وبـين الآخرين الذيـن ذَكَرهـم في نصِّـه، وأنَّ قوله هـذا يعطي حالـة من التبجيـل؛ لأنَّه عـالم بمكانة المُشـار إليه، فهو ليس شـخص عاديًّا، بـل هو حفيد الإمام موسـى الكاظم عليه السلام، وأحد الأئمَّة في علم الكلام والفقه والأدب والشـعر[1]، وخصَّه أبيـه العلَّامة بقوله: «وبكتبه اسـتفادت الإماميَّـة منذ زمنهِ رحمـه الله إلى زماننا هذا، وهو سـنة ٦٩٣ هـ، وهو ركنهم ومعلِّمهم»[2].

إنَّ الإشـارة إلى الألقاب (المرتضى، البصريّ، الـرازيّ)، هي علامة اجتماعيَّة يُظهر فيها المتكلِّم أهميَّة المشار إليه في نفسه.

ومـن مثل ذلك قوله: «اختلف الناس في التعبُّد بخبر الواحد، فالأكثر على جوازِه، ثمَّ اختلفوا في وقوعِه، فمنَعَهُ السـيِّد المرتضى، وأثبتَهُ القفَّال، وابن سريج، وأبو الحسـين البصريّ عقلًا، وأبو جعفر الطوسيّ، والجبَّائيَّان، وقاضي القضاة سمْعًا»[3].

نلحظ في النصِّ إشاريَّات إجتماعيَّة راعى فيها فخر المحقِّقين المسافات الاجتماعيَّة، عن طريق الألقاب، منها ألقاب لم نذكرها سـابقًا، هي (القفَّال، ابن السريج، الطوسيّ، قـاضي القضاة)، كلُّ هـؤلاء علماء في الفقه والأصـول، درسَ فخـر المحقِّقين كتبتهم، وأخذ العلم عنهم، وعند قيامه بالإشـارة إليهم في مؤلَّفه، أشـار إليهم بألقابهم؛ ليُظهِر مكانتهم الاجتماعيَّة وأهميَّتهم في نفسه، وهذا يثبت أنَّ للإشارة هنا أثرًا ومقاصدَ ومعاني يعرف القارئ، عن طريقها، قصدَ فخر المحقِّقين.

(١) ينظـر: وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شـمس الدين أحمد بن محمَّد بـن إبراهيم البرمكيّ: ٣/ ٣١٣-٣١٤، وينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفديّ: ٢٠/ ٢٣١.

(٢) مجلَّة تراثنا: مؤسَّسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، العددان الثالث والرابع [٣٢، ٣٣]، السـنة الثامنة، ١٤١٣هـ: ٩٨.

(٣) غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف: ٥٩٢.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة النافعة في مدوَّنة مهمَّة وقيِّمة في علم الأصول، تنتمي إلى أحد كبار حوزة الحِلَّة العلميَّة، نقطف ثمار هذه الرِّحلة الممتعة:

١. بيَّن البحث أهميَّة الإشاريَّات في الخطاب الأصوليّ، لكونها أدوات ربط أسهمت في انسجام النصِّ واتِّساقه.

٢. تُعدُّ الإشاريَّات على الرغم ممَّا تتَّصف به من غموض وإبهام عند إحالتها إلى مكوِّنات السياق الاتِّصالي، ذات قيمة تداوليَّة كبيرة اكتسبتها بواسطة الظرف والمقام الذي قيلت فيه.

٣. خضعت الإشاريَّات الاجتماعيَّة في المدوَّنة إلى العوامل السياقيَّة التي ربطت علاقة المتكلِّم بالمُخاطَب من حيث درجة السلم الاجتماعيّ بينهما.

٤. إنَّ استعمال الألقاب عند ذِكر العلماء والفقهاء، وممَّن أخذ عنهم العلم رسَّخَ مبدأ التأدُّب عند فخر المحقِّقين؛ لدلالته على التشريف لهم.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأبعاد التداوليَّة في كتاب الأخبار الموفقيَّات، عامر هاشم محمَّد، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب، المستنصرية، ٢٠١٨.

٢. الابعاد التداوليَّة للإشاريَّات في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزَّاق عبد الواحد، إيثار شوقي سعدون، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، الجامعة المستنصريَّة، العدد ٤٥، ٢٠١٩م.

٣. الإبهام والمبهمات في النحو العربيّ، إبراهيم بركات، ط١، مكتبة شجرة الدرِّ، ٢٠١٥م.

٤. الاتجاه التداوليّ والوظيفيّ في الدرس اللغويّ، نادية رمضان النجَّار، ط١، مؤسَّسة حورس الدوليَّة، ٢٠١٣م.

٥. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن عليّ بن أبي عليّ بن محمَّد بن سالم الآمديّ (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزَّاق عفيفي، المكتب الإسلاميّ، بيروت، دمشق.

٦. أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، مجد المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٧. أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم، إنجا إبراهيم يحيى اليمانيّ،

رسالة ماجستير، كليَّة اللغة العربيَّة، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، السعوديَّة، ١٩٩٠م.

٨. إستراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٩. الإشاريَّات الخطابيَّة وأبعادها التداوليَّة قراءة في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، حازم مطشَّر حاتم، مجلَّة جامعة بابل، العلوم الإنسانيَّة، المجلَّد ٢٥، العدد٢، ٢٠١٧.

١٠. الإشاريَّات الشخصيَّة في نهج البلاغة، الضمائر أنموذجًا، سعد محمَّد عليّ التميميّ، ويسرى خلف سمير، مجلَّة كليَّة العلوم الإسلاميَّة، العدد٤٧، ٢٠١٦م.

١١. الإشاريَّات المكانيَّة في تفسير (التَّحرير والتَّنوير) لابن عاشور، رجاء عجيل إبراهيم الحسناويّ، وستار هويدي عليّ، مجلَّة المصباح، العدد٣٠، ٢٠١٧م.

١٢. الإشهار القرآنيّ والمعنى العرفانيّ في ضوء النظريَّة العرفانيَّة والمزج المفهوميّ والتداوليَّة [سورة يوسف نموذجًا]، عطيَّة سليمان أحمد، الأكاديميَّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م.

١٣. آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيَّة، ٢٠٠٢م.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية.

١٥. التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداوليَّة، دلخوش جار الله حسين، مجلَّة العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، مجلَّد٥، العدد٣، ٢٠١٧.

١٦. تحليل الخطاب الروائيّ (الزمن- السَّرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٧م.

١٧. تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللغة دراسة تطبيقيَّة لأساليب التأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣م.

١٨. تحليل الخطاب، جوليان براون وجورج يول، ترجمة وتعليق: د. محمَّد لطفي الزليطنيّ، د. منير التريكيّ، النشر العلميّ والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعوديَّة، ١٩٩٧م.

١٩. تداوليَّة الخطاب الدينيّ في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، محمَّد صادق الأسديّ، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط١، ٢٠١٨م.

٢٠. التداوليَّة امتداد شرعيّ للسيميائيَّة، سحاليه عبد الحكيم، المركز الجامعيّ، الطارف، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنصُّ الأدبيّ).

٢١. التداوليَّة، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابيّ، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٢. التطبيق النحويّ، عبده الراجحيّ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.

٢٣. التعريفات، عليّ بن محمَّد الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)، ضبطه وصحَّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٢٤. تهذيب اللغة، محمَّد بن أحمد الأزهريّ الهرويّ (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٥. تهذيب الوصول إلى علم الأصول، العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهَّر، تحقيق: السيِّد محمَّد حسن الرضويّ الكشميريّ، مؤسَّسة الإمام عليّ، لندن، ط١، ٢٠٠١م.

٢٦. التوقيف على مهمَّات التعاريف، عبد الرؤوف زين الدين محمَّد بن تاج العارفين ابن عليّ الحدَّاديّ (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨، عبد الخالق ثروت، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠م.

٢٧. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمَّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المراديّ (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٨. حفريَّات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٩. حوار الأديان في القرآن الكريم دراسة في ضوء التداوليَّة، رغد عبد أبو جاسم الحميداويّ، رسالة ماجستير، كليَّة التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٦م.

٣٠. الخطاب والتخاطب في نظريَّة الوضع والاستعمال العربيَّة، صالح عبد الرحمن الحاج، إناج للمطبوعات، الجزائر، ٢٠١٢م.

٣١. دور الترجمة في ترقية البحث اللسانيّ الاجتماعيّ، ترجمة كتاب لويس جون كالفي، ترجمة: محمَّد يحياتن، دراسة لسانيَّة اجتماعيَّة، خوخة تواتي وسهيلة يوسفي.

٣٢. شرح المقدِّمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ)، تحقيق: خالق عبد الكريم، المطبعة العصريَّة، الكويت، ط١، ١٩٧٧م.

٣٣. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميريّ اليمنيّ (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمريّ، مطهَّر بن عليّ الإريانيّ، د. يوسف محمَّد عبد الله.

٣٤. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الفارابيّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار الملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٣٥. العدَّة في أصول الفقه، ابن الفرَّاء محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عليّ بن سير المباركيّ، ب.ن، ط٢، ١٩٩٠م.

٣٦. العقيدة عند الأمام مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، جاسم داوود سلمان السامرَّائيّ.

٣٧. علل النحو، ابن الورَّاق محمَّد بن عبد الله بن العبَّاس (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمَّد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٩م.

٣٨. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار ومكتبة الهلال.

٣٩. غاية السؤل في شرح تهذيب الوصول، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف (ت ٧١١هـ)، تحقيق: حميد رمح الحِلِّيّ، مركز العلَّامة الحِلِّيّ لإحياء تراث حوزة الحِلَّة العلميَّة، ط١، ٢٠١٩م.

٤٠. الفائق في أصول الفقه، صفي الدين محمَّد بن عبد الرحيم بن محمَّد الأرمويّ (ت ٧١٥هـ)، تحقيق: محمود نصَّار، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٤١. القاموس الموسوعيّ للتداوليَّة، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.

٤٢. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٥م.

٤٣. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٤. اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٤٥. لسانيَّات التلفُّظ وتداوليذَة الخطاب، ذهبيَّة حمو الحاج، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.

٤٦. اللغة والتواصل اقترابات لسانيَّة للتواصلَين الشفهيّ والكتابيّ، مرتاض عبد الجليل، دار هومه، ٢٠٠٨م.

٤٧. اللمع في العربيَّة، أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافيَّة، الكويت.

٤٨. مجلَّة تراثنا، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، العددان الثالث والرابع [٣٢، ٣٣] السنة الثامنة ١٤١٣هـ.

٤٩. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء الرازي (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٥٠. المحصول في أصول الفقه، ابن العربيّ محمَّد بن عبد الله أبو بكر الإشبيليّ (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: حسين عليّ اليدري، سعيد فودة، دار البيارق، عمَّان، ط١، ١٩٩٩م.

٥١. المحصول، فخر الدين الرازيّ أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: د. طه جابر فيَّاض العلوانيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧م.

٥٢. مظاهر التداوليَّة في التبيان في تفسير القرآن للطوسيّ، عليّ محمَّد نور مجيد عبَّاس، رسالة ماجستير، كليَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة بابل، ٢٠١٨م.

٥٣. معجم الصواب اللغويّ، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٤. معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيَّات، حامد عبد القادر، محمَّد النجَّار)، دار الدعوة.

٥٦. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أ.د. محمَّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٧. مفاهيم أساسيَّة في علم الاجتماع، ماكس فيبر، ترجمة: صلاح هلال، مراجعة: وتقديم: محمَّد الجوهريّ، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١١م.

٥٨. المقاربة التداوليَّة، فرانسواز ارمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الالهاء القوميّ.

٥٩. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء الرازيّ (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٦٠. المقتضب، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٦١. المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزاليّ (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. محمَّد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٨م.

٦٢. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الكريم كاظم الراضيّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦٣. نسيج النصِّ، الأزهر الزناد، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٦٤. نظريَّة الخطاب مقاربة تأسيسيَّة، عبد الواسع الحميريّ، مؤسَّسة الانتشار العربيّ.

٦٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقيَّة، مصر.

٦٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٧. الوظائف التداوليَّة في مسرحيات أحمد رضا حوحو، راوية حباري، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب واللغات، جامعة محمَّد خيضر بسكرة، ٢٠١٤-٢٠١٥.

٦٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم البرمكيّ (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٠٠م.